

الرواية العربية بين واقعية التاريخ والواقعية السحرية  
رواية رحلة السماور "العالم الخرب" لعصام منصور أنموذجا  
*The arabic novel between realistic of history and magical realism*  
*The novel of the samovar journey "ruin word " of Essam Mansour as a model*

ط.د إيمان كرفاح\*

د. زهيرة بارش\*

|                         |                          |                           |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ النشر: 2022/05/01 | تاريخ القبول: 2021/09/29 | تاريخ الإرسال: 2021/01/17 |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|

الملخص:

تعد الرواية المستثمرة للمادة التاريخية من الروايات التي سلطت الضوء على الواقع العربي، باختلاف طريقة تشكيل تلك المادة وبنائها، ووفق ما يلائم فنية النص السردية. وقد سمحت مرونة هذا النص الإبداعي على الجمع بين التاريخ والواقعية السحرية، من خلال الإنطلاق من الواقع التاريخي والولوج إلى عالم مناقض له، ينبني على واقعية سحرية ترتبط بالظواهر الغريبة والأحداث الأغرب.

ويهدف هذا البحث لتبيين جمالية هذه المزاجية بين التاريخي والسحري في رواية رحلة السماور "العالم الخرب" لعصام منصور. من خلال إبراز العناصر الفنية المرتبطة بالظاهرتين الفيتيتين. وكيفية الجمع بينهما في بناء سردي واحد.

المؤلف المرسل: إيمان كرفاح im.kerfah@univ-setif2.dz

\*مخبر السرديات والأنساق الثقافية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 الجزائر

im.kerfah@univ-setif2.dz

\*مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 الجزائر

z.bareche@univ-setif2.dz

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الواقعية السحرية، الرواية، عصام منصور، رحلة السماور.

**Abstract:**

*The invested novel of historical material is one of the narratives that shed light on arabic reality, according to the different method of formation and construction of that material. And according to what suits the artistry of the narrative text. The flexibility of this createv text allowed the combination of history and magical realism by starting from the historical reality and entering a contradictory world, based on a magical reality to strang phenomena and strang events.*

*This research aims to show out the beauty of this pairing between the historical and the magical in a novel the samovar journey "ruin word" of Essam Mansour. This is done by highlighting the technical component related to the two artistic phenomena and how to combine them in one narrative construction.*

**Key words:** History, magical realism, novel, Essam Mansour, the samovar journey.

\*\*\* \*\*

**1. مقدمة:**

يمثل جنس الرواية جنسا مرنا استطاع مؤلفه خوض عوالم تجريبية مختلفة، تماشيا ومتغيرات العصر. ومن مظاهر هذا التجريب في الرواية العربية تمثّل التاريخ في قالب سردي منطلق من واقع المؤلف والمتلقي على حد سواء، من خلال تناول فترات تاريخية مختلفة، أحداثا وشخصيات ووقائع.

وتُعد الواقعية السحرية كظاهرة فنية، شكلا آخر من أشكال التجريب الروائي، ارتبطت بالرواية العربية من خلال استثمار عناصر أسطورية، خارقة وسحرية متعلقة بمختلف بنيات الرواية.

وتعتبر رواية رحلة السماور "العالم الخرب" نصا روائيا وقع بين التاريخ الذي يمثل الجانب الطبيعي المؤلف في الرواية، والواقعية السحرية المرتبطة بفوق الطبيعي والمثير للدهشة. فإلى أين يأخذ هذا الجمع بين عنصرين جماليين مختلفين، النص والمتلقي؟ وهو

ما سنعمل على إيضاحه من خلال هذا البحث، عبر تسليط الضوء على انعكاسات هذا الجمع على بناء الرواية.

### 2. الرواية والتاريخ:

#### 1.2 مفهوم التاريخ:

عرف مصطلح التاريخ عدة مفاهيم تختلف باختلاف الباحثين وتتعدد بتعدد اتجاهاتهم ومذاهبهم، ومنهم الباحث عبد الله العروي الذي يرى أن التاريخ يتمثل في "مجموع أحوال الكون في زمان غابر ومجموع معلوماتنا حول تلك الأحوال"<sup>1</sup>. من هنا التاريخ مرتبط بما عاشه السابقون قديما من ناحية، وبما توصل إليه الباحثون حول تلك الحياة ممثلا في نصوص تاريخية تشكل أبحاثهم من ناحية أخرى.

ويتعلق مفهوم التاريخ عند البعض الآخر بـ "بعث الحضارات والمدنيات في عصورها، بخصائصها الإنسانية (...). لا بوصفها فترات منقطعة الصلة بالحاضر، بل بوصفها لحظة من الامتداد الزمني المتصل الذي يشترك -في العمل على امتداده وتنوعه- جهود الشعوب المختلفة، ولكنه يتخذ طابعا خاصا بكل عصر وبكل أمة"<sup>2</sup>، أي أن ارتباط التاريخ الإنساني ببعضه مسألة بينة، مع اختلافات تعد تمييزا لتاريخ الأمم عن بعضها البعض، نظرا لتباين خصائص المجتمعات قديما كان أم حديثا.

#### 2.2 التاريخ في الرواية العربية:

استطاعت الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أن تخرج عن القالب التقليدي المعهود للنص الروائي باستثمارها عناصر التراث باختلافها وتنوعها، و"التاريخ بوصفه مكونا من مكونات التراث أصبح رهانا تستند إليه الرواية المعاصرة، رغم صعوبة توظيفه وتمثل أشكاله. وصعوبة المهمة تكمن في أن النص الروائي الذي يستند إلى التاريخ في متنه الحكائي، تكتنفه مرجعيتان ويتنازعه طرفان. يتعالفان أحيانا ويفترقان أحيانا كثيرة. يتعالفان لأن كلا منهما يعبر عن واقع ويعيد تشكيله عن طريق اللغة، ويختلفان في طريقة بناء وإعادة تشكيل هذا الواقع داخل النص"<sup>3</sup>. ومن هنا يتضح أن عددا من النصوص الروائية المعاصرة التي جمعت المادة التاريخية والتمثيل الروائي في بنائها، وان ارتبطت بالتاريخ فإنها لا تمثل نصا تاريخيا، لاختلاف تشكيل تلك المادة التاريخية بين فنية الرواية وموضوعية النص التاريخي.

تنوعت المادة التاريخية الموظفة في الرواية تماشياً والمواضيع المتناولة من ناحية، وتعبيراً عن الأوضاع السابقة والراهنة للوطن العربي من ناحية أخرى، "وقد تجاوزت تلك العودة، التاريخ العربي والإسلامي في مراحلها المشرقة، إلى فترات السقوط، وكانت التجربة العربية في الأندلس التجربة البارزة في هذا الإطار، (...) وقد حرص العديد من الباحثين على عقد مشاهدات بين هذه التجربة والمرحلة المعاصرة التي تمر فيها الأمة، بغية التنبيه والعظة والتخويف من المصير المظلم القادم"<sup>4</sup>. من هنا يتجلى أن توظيف التاريخ في الرواية العربية يتأرجح بين تذكير بأجداد الأمة العربية الإسلامية، وما تلاها من سقطات شكلت جزءاً من التاريخ العربي.

### 3. الواقعية السحرية "المفهوم، النشأة والتطور":

#### 1.3 مفهوم الواقعية السحرية وإشكالية المصطلح:

ارتبطت الواقعية السحرية بالفن قبل ارتباطها بالأدب، حيث "لاحظ إنريك أندرسون إمبير أن مفهوم الواقعية السحرية قد ظهر في مجال نقد الفنون التشكيلية قبل أن يطبق، بعد عقود من الزمن، على الأدب، وخاصة الأدب الإسباني-الأمريكي ويعود الفضل في ابتداء المفهوم إلى الناقد الألماني فرانز رو Franz Roh الذي استخدمه سنة 1925 لتمييز جماعة من الرسامين الطليعيين الألمان"<sup>5</sup>. أي أن المصطلح ولج عالم الرسم قبل ارتباطه بالأدب بصفة عامة والرواية بصفة خاصة. "ومع ذلك توجد مرحلة وسطى بين ناقد الفن الألماني ونقاد الأدب نهاية الأربعينات. إن بورخيس -الذي عبد الطريق منذ سنة 1930، (...) ولما اعتمد على أفكار فريزر Frazer في الغصن الذهبي أثبت أن الجنس الحكائي له علاقة بالسحر، ويرى إنريك أندرسون إمبير أن تعبير الواقعية السحرية كان معروفاً منذ نهاية العشرينات في الدوائر الأدبية ببيونيس أيريس"<sup>6</sup>. مما سبق يتضح أن تاريخ أول استعمال للمصطلح غير محدد بدقة رجوعاً إلى أن الاستعمال انطلق من الفن ثم منه إلى الأدب.

ارتبطت الواقعية السحرية بغير المؤلف عند البعض، وبالسحر عند البعض الآخر، "ومن هنا نشأ مصطلح "الواقعية السحرية"، أي الجمع بين عنصرين مهمين هما الواقع والfantasy"<sup>7</sup>، أي أن ولوج عالم السحر لا ينفي العلاقة الوطيدة بينها وبين الواقع الذي انطلقت منه وعبرت عنه. فغالبا ما "يرسم الكاتب رسماً موعلاً في البساطة، والألفة

من تفاصيل الحياة اليومية، ثم يدعم رسمه بالغريب والمستحيل<sup>8</sup>، فهو مزج بين الطبيعي وفوق الطبيعي في بناء النص السحري.

جُمع المفهوم بين الخوارق والواقع يؤكد أن "هناك صلة وثيقة بين الواقعية السحرية وبعض المفاهيم كالغرائبي والعجائبي والأسطوري"<sup>9</sup>، ما أدى إلى اضطراب في تحديد المصطلحات واستعمالها، لذا كان لزاما تحديد ماهيتها:

أولاً- العجائبي: يعرفه تزفتان تودوروف بأنه "التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير قوانين الطبيعة، فيما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر"<sup>10</sup>. فهو تردد ناتج عن حدث غير عادي وغير مألوف بالنسبة للمتلقي.

ثانيا- الغرائبي: يتميز بأحداثه التي تظهر في البداية خارقة أو غير قابلة للتفسير ثم تتحول في النهاية إلى أحداث عادية أو مفهومة<sup>11</sup>. وهنا ينتقل الحدث من الخارق إلى الطبيعي بعد تفسيره تفسيراً منطقياً يتقبله المتلقي.

ثالثاً- الأسطورة: وهي "محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له"<sup>12</sup>. أي أن الإنسان قديماً استحدثها لتفسير ظواهر ارتبطت بحياته وشغلت فكره. وفي الغالب "الصياغة الأسطورية للواقع لا تكتفي بتحطيم قوانين العقل فحسب، بل هي أيضاً تعيد إنتاج هذه القوانين وفق رؤية تقوض الحدود الفاصلة بين ما هو واقعي وما هو فوق واقعي"<sup>13</sup>. ومنه يتجلى العالم الأسطوري الذي لا يعترف بالحدود الفاصلة بين الطبيعي وفوق الطبيعي بعمله على خلخلتها أحيانا وتحطيمها أحيانا أخرى.

رابعا: السريالية: "قدمت تعاريف عديدة من السريالية كلها تشير إلى أنها الانفتاح على المجهول وعلى الماوراء وتسعى إلى تحرير القوى اللاشعورية المكبوتة أو المجهولة في الإنسان"<sup>14</sup>. ومن هنا يعتمد الكثير من الباحثين إلى ربطها بالواقعية السحرية لارتباط كل منهما بالماوراء والمجهول.

مما سبق يتضح أن المصطلحات السابقة الذكر ترتبط جميعها بالواقع والخيال، ما جعل الباحثين ينقسمون بين مؤيد للفصل بينها، وبين من اعتبروا أن الفصل لا نتيجة منه مادامت تصب في نفس المصعب. وقد "كان لهذا الجمع بين النقيضين، من خلال الإدراخ الخلفي: (الواقعي- السحري) أثره الجلي ضمن أسباب أخرى متنوعة، في تعريف المصطلح بعبارات طنانة، وجمل فضفاضة، جعلت بعض النقاد يذهب إلى أن التطلع

لتحديد المصطلح مجرد محاولة ساذجة"<sup>15</sup>، من هنا يتضح أن الوقوف على مصطلح واحد أمر صعب رجوعاً لطبيعته، وهذا ما يضع المتلقي أمام عدة مصطلحات متداخلة عند استعمالها.

### 2.3 الواقعية السحرية بين الأدب العربي والأدب الغربي "التأثير والتأثر":

تجتمع آراء أغلب الباحثين أن ظهور الواقعية السحرية في الأدب ارتبط بأدب "أمريكا اللاتينية فإن أول من استخدم هذا المصطلح هو الكاتب والقصص الكوبي «أليخو كاربنتيير» في مقدمته لقصة «مملكة هذا العالم» سنة 1949"<sup>16</sup>. "وقد ظهرت الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية في فترة متقدمة من القرن العشرين، وهذا يتضح من الأسماء التي مثلت هذا الإتجاه، وهي -عادة- تتركز في ستة هم: أليخو كاربنتيير، وميجيل أنخل أستورياس، وخورخي لويس بورخيس، وخوليو كورتاثار، وخوان رولف، وجابرييل جارشيا ماركيز"<sup>17</sup>، الذي اشتهر برأئته مئة عام من العزلة، والتي مثلت للعديد من الروائيين منارة الواقعية السحرية. و"مع بداية الستينات بدأ روائي أمريكا اللاتينية بتجديد جماليات السرد، إذ اهتموا بتوسيع نطاق الواقعية السحرية والغرائبية (الفانتازيا) من أجل تجاوز واقعية القرن التاسع عشر، فاستطاعوا أن يوجهوا الأنظار إليهم، خاصة بعد أن عاشت أوروبا جموداً أسلوبياً"<sup>18</sup>. فمثلت هذه الفترة فترة انتعاش أدب أمريكا اللاتينية، وخرجوا عن المواضيع المستهلكة إلى مواضيع جديدة شدد أدباء العالم.

وتجدر الإشارة إلى أن "الواقعية السحرية ليست تراثاً خاصاً بأدب أمريكا اللاتينية. ففي إسبانيا نجد قصص الفرسان فانتازيا كثيرة مثلما نجد عند جارشيا ماركيز. كذلك في الأدب الألماني وفي الأدب الفرنسي. وبالنسبة للأدب العربي تعرف أن بورخيس العارف الكبير بهذا الأدب استخدم كثيراً من العناصر الخيالية الموجودة في "ألف ليلة وليلة" لصياغة أدبه"<sup>19</sup>، ما يؤكد تأثير نص الليالي على عمالقة الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية بعد اطلاعهم عليها. "فالجذور التراثية العربية تمنحنا الحق في أن يكون لنا باع طويل في الواقعية السحرية. وهذه الجذور تتبدى في كتب وأعمال كثيرة، نذكر من بينها هنا -على سبيل التمثيل فقط- الكتب التالية: ألف ليلة وليلة، كتاب التيجان في ملوك حمير، السير الشعبية، عجائب الهند، رحلة السيرافي، قصص الأنبياء، قصص القرآن، كتاب الأغاني..."<sup>20</sup>. فالواقعية السحرية في الأدب العربي القديم كانت متغلغلة في مختلف

الأجناس الأدبية التي سبقت الرواية في ظهورها. "ولم تنتشر في الرواية العربية إلا في سبعينات القرن الماضي"<sup>21</sup>. وقد كان ارتباط الرواية العربية بالواقعية السحرية استثماراً لما ضمه التراث من ناحية، وتأثراً بجمالية توظيفها في الأدب اللاتيني من ناحية أخرى.

#### 4. ملخص الرواية:

انبنت الرواية على قصة البطل "محموظ" الإبن، ووالده "محموظ النّحاس"، إذ يعود بنا عصام منصور إلى أزمنة تاريخية غابرة، تعدّ محيطاً لحياة شخصياته. حياة الفرد العربي الذي أجبر على دخول حروب طاحنة، لم يدفع ثمنها غيره. نفس مصير الأب يواجهه محموظ، انطلاقاً من اللعنة المتوارثة أباً عن جد إلى خوض الحروب، حروب امتدت بين عوالم طبيعية إلى عوالم فوق الطبيعية.

ينطلق محموظ النّحاس المحارب القديم من مصر إلى أوريوم "العالم الخرب"، للقاء حبيبته "ملك جهان" بعد أن ظن أنها قتلت في آخر معركة بينه وبين سحرة أوريوم، لكن يتضح فيما بعد أنها لا تزال حية، ليعزم على لقاءها والعودة بها. من هنا ينطلق بطل الرواية محموظ الذي بدأ حياته بمعاناة جراء مشاركته في الحروب كأبيه وهو لا يزال صغيراً، ولم يشفع له سنه ولا أحلامه. لتكتمل صورة الألم بعد معرفته بما أقدم عليه والده، لينطلق هو الآخر ليعود بأبيه، ولمحاولة فك اللّعة التي لحقته. ليجد نفسه في مواجهة عالم عجيب، غريب يناقض عالمه.

#### 5. عتبة الغلاف بين التاريخي والسحري:

تقدم عتبة الغلاف صورة واضحة عن إمزاج التاريخ والواقعية السحرية في الرواية، إذ يظهر على الغلاف "البطل محموظ" وهو بزي مصري قديم مكون من: "طربوش أحمر وبدلة بنية" وهي البدلة التي كان يرتديها المصريون الذين سبق لهم التعلم قديماً، وهو حال محموظ بين أقرانه، وهو يعتلي الطائر الأسطوري "الرخ أو الفينيق أو العنقاء". يختصر الغلاف الرحلتين والحربين اللتين شارك فيهما محموظ، الأولى حين جُند في الحرب المكسيكية الأمريكية، حين أخذ على متن السفينة البحرية "لاسين الفرنسية" قسراً وهو طفل، في مقابل الحرب الثانية التي خاضها في مرحلة شبابه، ضد سحرة أوريوم وهو يعتلي طائر "الرخ"، في محاولة منه للعودة بأبيه وحبيبته إلى وطنهم.



6. إشتغال التاريخ في رواية "رحلة السماور":

1.6 صورة الحرب وانعكاساتها:

تناولت الرواية عدة أحداث تاريخية مرت على الأمة العربية بصفة عامة، منها ما ارتكز على أساس تاريخي مرتبط بالغزو الأجنبي للأراضي العربية، ومنها ما ارتبط بفترات تاريخية شكلت منعطفًا للوطن العربي، ملحقًا ذلك بنتائج تلك التحولات على مختلف الأصعدة، سياسيا، اجتماعيا، إقتصاديا ودينيا.

- حرب القرم: هي حرب قامت بين روسيا والدولة العثمانية، حيث شارك فيها محفوظ الأب، فقد "حارب هو من أجل السلطان في (القرم)"<sup>22</sup>. تناولها الروائي باعتبارها من أهم الحروب التي شارك فيها العرب، دون أن يكون لهم مصلحة تخفف وطأتها، وقد جُند محفوظ باعتبار أن مصر كانت طرفا مساندا للعثمانيين.

- التجنيد الإجباري أثناء الحروب ومن بينها الحرب "الفرنسية المكسيكية": والذي طال أغلب شباب الأمة العربية التي كانت تحت وطأت الاستعمار، بشتى أشكاله المباشر وغير المباشر (إنتداب، حماية، غزو)، باختلاف مكان وزمان الحرب والأطراف المتصارعة، وهو ما أجبر عليه البطل "محفوظ" وهو لم يتجاوز السادسة من عمره حين ألحق بالحرب

الفرنسية المكسيكية، والذي يرى بأنه "لو كنت تختبئ في ثقب سوداني، ستندلع حرب مجنونة في (مكسيكا)، بلادك ليست طرفا فيها، لكن (نابليون الثالث) سيلمحك هناك مختبئا، وسيطالب بمجيئك"<sup>23</sup>. ويقدم لنا الروائي هنا صورة عن استغلال الإنسان في أبشع الصور من خلال استغلال الشبان في القتال، والأطفال في القيام بالأعمال الأخرى أثناء الحملات، دون مراعاة للسن أو الوضع الصحي.

- دمار المدن العربية الإسلامية والذي مثّل له بـ "مدينة الإسكندرية": حينما وقف "الأميرال السير (بوشامب سيمور) في سفينة القيادة (ألكساندرا)، يقود أسطولا في مقدمته ثمان مدرعات كبيرة، لإرسال عروس المتوسط إلى مهاوي الموت"<sup>24</sup>. وهذا ما كان يوم 11 يوليو 1882. وجاء على لسان محفوظ أن "الانجليز لم يكتفوا بالضرب عن بعد. علمت بنزولهم للشوارع ظمئين للدماء، وقيامهم بعدد من المذابح لإرهاب الحكومة والجيش وبقية المدن"<sup>25</sup>. وغيرها من مظاهر التشريد والإعتداءات والنهب والسلب الذي طال سكان الإسكندرية، والتي قدمت الرواية صورة عنها، والتي لا تمثل هنا إلا عينة مما عانت منه العديد من مدن الأمة العربية في تلك الفترة.

### 2.6 بناء الشخصية التاريخية:

يعتبر غنى المادة التاريخية في الرواية نتيجة طبيعية لتنوع الشخصيات التاريخية المصاحبة لها، فمنها العربية، العثمانية والغربية، ونذكر منها:

- الشخصيات العثمانية: والتي تمثل لها بـ: عبد الحميد الثاني (سلطان عثماني)، محمد علي (والي مصر)، قنصوه الغوري (سلطان مملوكي)، وغيرهم من الشخصيات التي كان لها دور في ما مر على العالم العربي، يُنظر لهم من خلال النص نظرة النقد للعديد من القرارات خاصة منها العسكرية والسياسية، في تلميح مباشر من المؤلف إلى أن قراراتهم في تلك الفترة ساهمت في إيصال الدول العربية إلى حافة الجحيم.

- الشخصيات العربية: ومن بينها رفاة الطهطاوي، محمد عبده والذي "عندما أفق بعزل (توفيق)، عد في جملة المحكوم عليهم"<sup>26</sup>. في إشارة إلى القمع الذي تعرضت له الطبقة المثقفة العربية إبان الاحتلال، لأنها تمثل الجانب الواعي من المجتمع العربي في تلك المرحلة، والذي دعا لمناهضة الظلم والوقوف في وجه تطبيق القرارات التعسفية التي مست باستقرار الأوطان.

- الشخصيات الغربية: ومنها الإمبراطور مكسيمليان (إمبراطور المكسيك)، الإمبراطورة شارلوت (إمبراطورة المكسيك)، نابليون (إمبراطور فرنسا)، الأميرال بوشامب سيمور (قائد بحري"، والذين حرص المؤلف على تقديم صورة لأطماعهم التي امتدت إلى الأراضي العربية وغير العربية، مستغلين الشعوب الضعيفة لتحقيق مآربهم.

حرص الروائي في بنائه للشخصيات التاريخية على المحافظة على أساسها التاريخي في ما يتعلق بكونها شخصية حاكمية، قائدة، ومفكرة مرتبطة بعدد من الإنجازات والأحداث التاريخية. متجاوزا ذكر أبعادها الفنية كشخصية روائية فاعلة، ومساهمة في تطور مجرى السرد والأحداث. لهذا يلاحظ قلة المعلومات المتعلقة بها على غرار "البعد الجسماني، البعد الاجتماعي والبعد النفسي"، ما أدى إلى طغيان الجانب التاريخي على الجانب الفني لهذه الشخصيات.

#### 7. "رحلة السماور" وجمالية تشكيل الواقعية السحرية:

مثّلت الرواية امتدادا بين عالمين، متناقضين، مترابطين، متقاربين ومتباعدين، يظهر تناقضهما من خلال اختلاف أسس بناء كل منهما، متباعدين لانتماء كل منهما لمكان وزمان مختلفين، ومتقاربين ومرتبطين عبر بوابة مشتركة تمثل معبرا لكل منهما.

#### 1.7 علاقة السريالية بالواقعية السحرية من خلال الرواية:

- السريالية والصوفية: "الصوفية في العصر الحديث دخلت ساحة الإبداع الأدبي بوصفها أحد العناصر المهمة في التيارات الحديثة وخاصة السريالية، وإذا أعدنا التأكيد على أن السريالية تعد إحدى الارتباطات الثلاث المهمة فيما يتعلق بالواقعية السحرية"<sup>27</sup>. ويمثل طائفة الصوفية في الرواية "الشيخ زاهر الدمشقي"، ويتضح هذا من خلال الحوار الذي دار بينه وبين البطل:

"- ألا تخجل من لقائنا بهذه الظلمة في داخلك؟

كنت أسمع الكثير عن كرامات الأولياء (...) لكن كل احتكاكي كان مع روح الدرويش، (...).

- الرفق الرفق أيها الفتى. أنا أيضا قابلت ظلمة نفسي قديما. حتى منّ الله علي بجلاء (...).

- ولكن، يا مولانا، أنا، كيف عرفت. أعني عن البلاء؟ (...).

- كشفا كشفت فأراك. ومكرًا تفعل يا ولد، فكف قبل الكف !

وارتعد مريدوه (...) وعندما تكهرب موقفي الحائر المرتبك، تبرع أحد التلاميذ بالشرح لي (...).  
- إن الشيخ (زاهر) يستخدم مصطلحات القوم. و(المكر) عندنا إظهار الآيات بلا أدب أو حدود (...) أي أنك أظهرت (كرامة) نعجز نحن عن مشاهدتها (...) <sup>28</sup>.  
يرى الباحث حامد أبو أحمد أن شخصية "الشيخ المتصوف" تتميز بـ "غموض والغاز ولديه أسرار يمكن أن يبين عنها في بعض أقواله أو يلمح إليها في إشارات (...). نجد كثيرا من الشخصيات عندما تستبد بهم الحيرة يذهبون إلى الشيخ" <sup>29</sup>. وهو ما انطبق على شخصية الشيخ زاهر الدمشقي الغامض، الذي يمثل ملجأ محفوظ "الشخصية الحائرة" في الرواية، والذي يبحث عن سبب لما يحدث له من تحولات من الطبيعة البشرية إلى المسخ الحيواني، وهو سبب لجوئه للشيخ.

### 2.7. بنية الشخصية في رواية الواقعية السحرية:

تنوعت الشخصيات في الرواية من حيث النوع (إنسية، جنية، حيوانية)، ومن حيث بنيتها الطبيعية وفوق الطبيعية والتي تمثل لها ب:  
- الممسوخات: وتعتبر من أهم التيمات التي ترتبط ببنية شخصيات هذا النوع من الروايات، تقوم في أساسها على التحول من الشكل الطبيعي إلى شكل غير مألوف، و"نقصد بالممسوخات الكائنات الناتجة عن تركيب أكثر من جنس، أو التي نجدها جنسا مختلف التركيب عن باقي الأجناس" <sup>30</sup>. ويمكن أن نمثل لهذا النوع من الشخصيات بالبطل "محفوظ"، إذ يقول: "استيقظت على صوت لهاث. لهاث حيواني، ثم اكتشفت أن هذا اللهاث غير البشري صادر مني (...) بحثت عن مرآة في المطبخ فلم أجد إلا سطح ماعون لامع (...) سقطت أرضا في إغماءة (...) هذا لأن وجه كلب طالعني على السطح المتشقق" <sup>31</sup>. ويرجع سبب هذا التحول إلى لعنة ساحر ناظم على سلالته، تطالهم لعنته أبا عن جد، محولة محفوظ إلى مسخ مكون من إنسان وكنب.

- طائر الرخ الأسطوري: وهو "طائر عملاق في العالم الخرب، لم يستطع مخلوق أسره تقريبا، ومن يصنع من عظامه تاجا يحكم العالم (...) يحيا الواحد منها بين 500 إلى 1000 سنة، في نهاية حياته يجثم على عشه في استكانة وغموض (...) ويقال أنه عندما تطلع عليه الشمس، تزايد درجة حرارته الداخلية بطريقة متسارعة، حتى يحترق تماما، وعندما يتحول لرماد تخرج يرقة صغيرة من وسط البقايا، لتتحول بعيدا إلى فرخ رخ آخر" <sup>32</sup>. عمد

الروائي هنا إلى استثمار التراث الأدبي كحكايات "ألف ليلة وليلة"، حيث ورد ذكر طائر الرخ العملاق في قصة السندباد البحري، ثم عرج على الأسطورة العربية القائلة بوجود طائر ضخمة يسمى العنقاء، "الطائر العجيب الذي يرى بعضهم أن له صلة بطائر «السيمرغ» الفارسي ويرى آخرون أنه طائر الفينيق Phénix الذي نجد صداه في الأساطير اليونانية"<sup>33</sup>. أي أن الروائي جمع بين الأسطورة اليونانية والفارسية من خلال ربط الطائر بالاحتراق، والأسطورة العربية عن طريق تسمية الطائر بـ "الرخ".

- الجن: "يشكل الجن بمختلف أجناسهم وأنواعهم عالما متكاملا من الشخصيات (...). يتفاعلون مع عالم الإنس، يقدمون له يد العون، أو يسعون إلى إلحاق الأذى به"<sup>34</sup>. وهو ما لاحظنا تحققه في الرواية حيث مثلّ الجن البحري الجهة المساندة للبطل أثناء رحلته، ويقول محفوظ في هذا "وذاك العملاق (...). والذي لم يبد لي كجني بل رجل عادي، أو بهذا أقنعت نفسي لتخليصها من الإضطراب"<sup>35</sup>.

ضمت الرواية إلى جانب الشخصيات التاريخية والسحرية، شخصيات متخيلة كأصدقاء محفوظ، زملاؤه وجيرانه، ما حقق تنوعا وتوازنا على مستوى بنية الشخصية في الرواية.

### 3.7 سحرية المكان:

تنوعت الأماكن العجائبية في الرواية بين الأماكن المفتوحة والمغلقة ومن بينها: - الكهف: ويتميز بأن "له قاع حجري، تتوسطه بئر كبيرة يخرج منها وهج حمم فائرة، وفي جداره البعيد طالعي وجه عملاق عجيب، كوجوه الآدميين، ولكنه يحتل مساحة ضخمة (...). وقد أحاطت به وفي كل أرجاء الكهف مئات الآلاف من وجوه البشر. مزروعة في صخور الجدران والسقف، حية ترزق!"<sup>36</sup>. وتتعلق عجائبية الكهف بسحر كبير السحرة الذي التحم مع الجبل، لأن الساحر في النصوص السردية "له قدرة فائقة على التحول في أية صورة يريد"<sup>37</sup>.

- الينبوع الفضي: وهو وسيلة البطل للنجاة وتحقيق المطلوب لأنه إن شرب شربة من الينبوع "اكتسب معارف جمة، وعلوما متعددة، وذكاء متوقدا، وحكمة كبيرة، بل وحتى عمرا مديدا، وشبابا دائم"<sup>38</sup>. ما يخوله للخروج من العالم الخرب سالما هو ووالده وحبيبته.

-السوق: أثارت السوق دهشة البطل لمفارقتها ما عهده عن طبيعة الأسواق في عالمه، ويقول محفوظ عنها عندما دخل العالم الخرب، "وقد رأيت ما أثار دهشتي عدة مرات، فهذا حاوي (...) يخرج عينيه من مقلتيه ثم يعيدهما (...) وهذا بائع لنبات حي يتلوى ويصدر عنه حفيف وأزيز وهمسات (...)، وهؤلاء تجار ضخام من ( ريجسوز ) (...) يحيطون بقفص (...) بداخله مخلوق مربع يزأر ويعوي، له جسد ثور عادي ورأس أسد ولسان حرياء" <sup>39</sup>.

## 8. خاتمة:

استطاع الروائي "عصام منصور" من خلال روايته أن يقدم للمتلقي صورة عن حقبة تاريخية مهمة عايشتها مختلف البلدان العربية، مستثمرا لعنصرين مهمين في تراثنا الأدبي ألا وهما التاريخ والسحر. الذين ارتبطا بمختلف الأجناس الأدبية العربية التي سبقت الرواية من حيث الظهور. ومما سبق يمكننا أن نحدد النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

- يتعلق استحضار التاريخ في الرواية بما مر على الشعوب العربية جراء الإستعمار وما نتج عنه على مختلف الأصعدة.

- عمد الروائي إلى رسم صورة تاريخية من خلال توظيف عدة أحداث مهمة، واستدعاء عدة شخصيات تاريخية مرتبطة بها، جامعا بينها وبين الشخصيات المتخيلة في بناء سردي مميز.

- تظاهر السحري في الرواية على مستوى بنية الشخصية، بنية الحدث، وبنية المكان، مرتبطا بعناصر الواقعية السحرية: الأسطورة، السريالية، والعجائبية.

مما سبق يمكن أن نخلص إلى أن الجمع بين عنصرين فنيين، مختلفين من حيث البنية والتركيب، أو كما يراهم البعض "متناقضين"، لم يشكل عائقا أمام بناء نص سردي معبر عن القضايا التي تهم الفرد العربي، باختلاف الزمان والمكان. وهو ما أضفى تميزا، وجماالية خاصة انعكست على الرواية.

### 9. الهوامش:

- 1- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، ط4، المغرب، 2005، ص33.
- 2- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، القاهرة، 2008، ص199.
- 3- السعيد زعباط، تخيل السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة " كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" لواسيني الأعرج نموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، المجلد 50، العدد 50، 2018، ص343.
- 4 - زهير محمود عبيدات، ثلاثية غرناطة، مقاربة في رواية الروائية رضوى عاشور، مجلة دراسات، المجلد 33، العدد 3، 2006، ص591.
- 5- الواقعية السحرية، تر: محمد الداهي، مجلة نوافذ، أنجيل إستيبان، انفجار الأدب الإسباني- الأمريكي العدد 33، 2005، ص166.
- 6- المرجع نفسه، ص167.
- 7- حامد أبو أحمد، في الواقعية السحرية، منشورات كتب عربية، ص24.
- 8- فاطمة بدر، الفنطازية والصلولجان، دراسة في الرواية العربية، الأدهم للنشر والتوزيع، 2013، ص10.
- 9- فوزي سعد عيسى، الواقعية السحرية في الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، 2012، ص10.
- 10- تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، دار الكلام، ط1، الرباط، 1993، ص18.
- 11 - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 2002، ص88، 87.
- 12- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص9.
- 13- نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2011، ص17.
- 14 - خليل برويني، سيد حسين حسيني كوشكي، المدرسة السريالية ومبادئها، دراسة نقدية من رؤية إسلامية، مجلة ضيافات نقدية، العدد 29، 2018، ص48.
- 15- محمد مصطفى علي حسنين، الرواية العربية وما بعد الاستعمار: التمثيل السردى وسحرية التأريخ، مجلة مقاليد، العدد 6، 2014، ص195.
- 16- صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1980، ص300.
- 17- حامد أبو أحمد، في الواقعية السحرية، ص29.
- 18- ماجدة حمود، رحلة في جماليات أمريكا اللاتينية، منشورات كتب عربية، ص21.
- 19- حامد أبو أحمد، في الواقعية السحرية، ص25.
- 20- حامد أبو أحمد، الواقعية السحرية في الرواية العربية، المجلس الأعلى للثقافة، ص15.
- 21 - ساندري سالم أبو سيف، الرواية العربية وإشكالية التصنيف، دار الشروق، ط1، عمان، 2008، ص85.
- 22- عصام منصور، رحلة السماور "العالم الخرب"، الرواق للنشر والتوزيع، ط1، مدينة نصر، 2018، ص11.
- 23- المصدر نفسه، ص34.
- 24- المصدر نفسه، ص184.

- 25- الرواية، ص185.
- 26- المصدر نفسه، ص188.
- 27- حامد أبو أحمد، الواقعية السحرية في الرواية العربية، ص42.
- 28- الرواية، ص162، 163.
- 29- المصدر نفسه، ص41.
- 30- سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1997، ص102.
- 31- الرواية، ص49، 50.
- 32- الرواية، ص233، 234.
- 33- محمد عجيبة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفرائي، ط1، لبنان، 1994، ص336.
- 34- سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ص100.
- 35- الرواية، ص144.
- 36- المصدر نفسه، ص203.
- 37- سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ص100.
- 38- الرواية، 108.
- 39- الرواية، ص147.

\*\*\* \*\*